اذ كنت فناناً :

... فهـــذه نفسي !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

يارب محمد ! أستغفرك يارب محمد !

أعصابي متراخيـة . عقلي نائم . عيناي تريدان أن تنطبقا كأنهما زهدتا النور ، وما هو زهد ولـكنه تسليم

نفسي تتهرب مني ، وتتحجب عني ... أريد أن أعرف ماذا بها ؟ أسألها فيقع السؤال فيها كما تقع الحجرة على كومة التبن المحروق ، فلا صوت ، ولا رد على الصوت ، ولا شيء

إذن فماذا بقي لي ؟ لا شيء !

وإذن فماذا أصنع ؟ ... لا شيء . والصبر طيب . والنجدة عند رب محمد ...

اللهم إني قد أسأت ، اللهم إني قد أسأت !

هانذا أعترف لك وما أنت بحاجة لأن يعترف لك مذنب . ولكني أريد أن أفضح نفسي لعلك تريد بعد ذلك فتمحو بلطفك وكرمك ما سطرته على جبيني بحكمتك وخبرتك من الإثم ، وآثار الإثم ...

لن أعدد ما ارتكبت ، فإني لا أحصيه . ولـكني أقول إني ما تركت إثماً إلا واقترفته

ولقد كان شر آثامي أني في يوم أنكرتك . أعوذ بك من نفسي . وأعوذ بك لها

لقد انطلقت يومها أعربد بروحي وبدني ، وأقول — وبئسما كنت أقول — إن الخبطة العشواء التي أوجدت هذا الـكون وإنما أوجدتني حكمتني في الكون كما حكمت الكون فيّ ، فمادام هو يأخذ مني فلآخذ منه ، ومادام هو يستبد بي فلأستبد به ... ومن أنا ... ؟؟

حقاً إني كفرت يا ربي . ولـكني لا زلت أتوسل إليك حتى بكفري . فقد كنت أحبك وأنا منكرك

ألست أنت صاحب هـذا البحر الذي كنت أصارع الريح وأنا ساع إلى أعتابه في ليالي الشتاء العاصفة المقمرة لأجلس عنده وأنا سكران في يدي السيجارة كلما شهقت منها نفساً شهقت معه من البحر أملاً ، وكلما زفرت نفساً زفرت معه إلى البحر هماً . لقد كنت أتبادل الأنفاس مع البحر ، هذا الوحش المحبوس عن الأرض الراضي بالحبس

لقد كنت أحبه . ولقد أحبني هو أيضاً فأعطاني الـكثير من نفسه : جلداً ، وصبراً ، وصفاء ، وغنى ، وحياة ، وقوة ... ومسكنة مع هذا كله وذلاً

لقد سبحتك فيه يارب لأني كنت أراه وأيادله الحب ، وكان عقلي أصغر من أن يؤمن بك غيباً

ثم ألست أنت صاحب تلك الماسة التي كانت تريق عليّ أضواءها فأشرب منها وأشرب وأشرب وأنا لا أدري لماذا لا أرتوي على كثرة ما أنا شارب حتى علمت أن ما كنت أشربه لم يكن إلا نوراً ، والإنسان لا يرويه النور وحده إن لم يمزجه بشيء من الظلمة . فلما بحثت عن الظلمة انفلت النور مني ، وكف يده عن أوتار قلبي

من يومها يارب وأنا غارق في ظلمات وظلمات ولـكن بعد أن آمنت بالنور . فالهم شماعاً ، رحمة منك وعزاء

ثم ألست أنت صاحب حديقة النزهة ... أنت صاحبها رغم أنف المجلس البلدي

كنت كلما اكتأبت وثقلت على واجبات الجبر والـكيميا ، وأرهقتني حياة المدرسة الجـافة التجأت إلى النزهة أفرغ فيها ذبولي وآخذ من أزهارها وأشجارها نضرة ... وبهجة ... واطمئناناً وفرحاً ...

ما أكرمها الأشجار والأزهار ! ما أحلاها ! إنها تتضور حباً ، وتشرئب إلى عاشق يهفو إليها بنظرة ... وخفقة

وما أقسى عشاق الأشجار والأزهار ... أطعمهم صمتها وسكونها واستسلامها فانهالوا عليها قطفاً ... والقطف قتل ... وأكرمهم يجود عليها بشعر . والشعر كلام ...

إنني لم أسرف يارب في قطف الأزهار ، واسألها

كنت أقنع بالذي تنفثه هي راضية من الحنين المؤصل ، والشهوة المتبخترة الرطبة ... وكنت أعود عنها إلى المدرسة وأنا كالقرنفلة الناطقة الحية : أبذر في قلوب الناس حباً أبعثره وأبعثر وراءه من

تلك الزأرة التي أعطانيها حبيبي الأزرق ذو الأمواج وذو الأنفة !

ثم ألست أنت صاحب هذه السماء التي كنت أنقلب على الرمال إليها لأسرح بنفسي فيها مرتحلاً من نجم إلى نجم ، ومن كوكب إلى كوكب ، متباعداً عن الأرض ما استطعت ، مختاراً من أكوانك أقصاها كأنما كنت أريد أن أستوهب ملكك ، فما استوهبت شيئاً وما كنت إلا لأرتد حسيراً ، ولكن بعد أن تطول حيرتي فيك وفي ملكك ...

سبحانك ! قد خلبت لبي ...

يا صاحب الصحراء تخرج فيها الحي من الميت ... يا لمسرحك هذا الأقفر من مسرح !

يا صاحب الناقة الصابرة ! يا صاحب النخلة المتكبرة ! يا صاحب السلحفاة الصائمة الساخرة ! يا صاحب الغزالة النافرة !

أليس هذا فنك ! وهل عشقت سواه حين كنت أنكرك !

ما عشقت سواه وأنا منكرك ! ولا عشقت سواه وأنا راج أن أعرفك ! وما سوى ذلك إلا العدم ، فكل موجود من أثرك وصنعك

يا رب محمد ! أستغفرك !

وأحمدك وأشكرك . فلقد ذكرتني بك حين أنسيتني نفسي ، وأنا حين أذكرك أهدأ وأطمئن ، لأني أعرفك الرحمن الغفار الذي ينقشع أمام رحمته وغفرانه كل ضلال وكل عطب ؛ والذي إن عاقب أرسل في العقاب راحة ورضى ، وقرن بالعسر يسراً . وإن مع العسر يسراً

بدأت أنتعش ...

زوابع من الإسكندرية تناديني . أريد أن أنطلق . أريد أن أعربد مرة أخرى ؛ ولكن عربدة المؤمن المطمئن

أريد أن أصرخ . أريد أن أبطش بهذه الظلمات التي بطشت بي حين أمنت إليها . أريد أن أقيم الدنيا وأقعدها . فهل أنا قادر من ذلك على شيء ...

إذا أردت أنت فإني قادر ، وإذا لم ترد فهأنذا كما أردت ...

قلبي ينبض بالأمل فيك ، وعقلي شارد وراء هذا الأمل يريد أن يعرف ما هو ، ولكنه تعب ولم يعرف ما هو ... فأرشدني .

ليس أشعى لدي من أن أشعر بأني أرضيتك وأنك أرضيتني وأنا طاو ، دنيء النفس . قد أتخم ولكني قد لا أشبع .

أنت الذي خلقتني . فساعدني على نفسي . وخذ بيدي ، وأنت تستطيع . ولا أحد غيرك يستطيع .

أنت تطالبني بالتوبة ؛ ولكنك أرجأت التوبة في قرآنك إلى سن الأربعين . فلي الآن إن مددت في عمري عشر سنوات باقية قد أستجديك بعدها عشراً ، وقد أستجديك بعدها عشراً ، فما أحسب التوبة ممكنة وتلك الخلاب يدغدغ العيون ، ويناوش الأسماع ، وينكث القلوب ...

ثم لماذا يتحتم علي أنا أن أتوب ؟ !

أأنا إنسان عاقل ورشيد ؟! إني لا أظن ذلك . فليس عاقلاً رشيداً هذا الذي يستمرىء أن يفضح نفسه بنفسه . ولا هو عاقل رشيد هذا الذي يطاول من هم أشد منه قوة وآثاراً في الأرض ، وينوخ للضعيف الهزيل يركبه ويضرب بطنه برجليه ...

أنا يارب كما تعلم . فعافني . واصفح لي أن أقضي في ملكك هذا ما قدرت لي من البقاء وأنا تحت رعايتك وعطفك . فلست إلا طفلاً غراً آفته دلال استحكم في نفسه من كثرة ما استفاه وعبه من نفح القرنفل والياسمين

واحمني يا رب من الشر أن يسكن نفسي . واملأ قلبي سلاماً . وانزع منه كل حقد وكل غل

واحمني يارب من الشر أن يقذفني به حاقد أو مغلول ؛ فأنا أعجز من أن أتلقى قذائف الشر المتستر ، ولدغات الحقد والغل

يا رب محمد . إحفظ يحيى السيد فقد أقرضني اليوم عشرة قروش ، وإن كان لا يعرف متى سيستردها

هو طالب في ليسانس الحقوق . فخذ بيده في امتحانه القريب ... أرجوك بحق محمد

عزيز أحمد فهمي

الإفصاح

المعجم العربي الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية في العلوم المختلفة ، ولا يستغني عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

مبين يوسف مرسي
المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة

عبد الفتاح الصعيدي
رئيس التحرير بمجمع فؤاد الأول للغة العربية